

❖ منهج الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني (دراسة تربوية)

د. عماد عبد الله محمد الشريفين

جامعة اليرموك

تهدف الدراسة إلى بيان منهج الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني، من خلال بيان مفهوم تعديل السلوك الإنساني، وتوضيح أساليب تعديل السلوك الإنساني وأهدافه عند الإمام الغزالي، بالإضافة إلى عرض المنهج الوقائي من انحراف السلوك. ولتحقيق أهداف الدراسة، عمد الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي. والذي انتهى إلى أن الإمام الغزالي أقر مبدأ قبول الأخلاق للتغيير والتبديل وبالمفهوم الحديث يعني تعديل السلوك، كما أن الإمام بين مجموعة من أساليب تعديل السلوك والتي منها ما هو مطلوب من الفرد مثل العبادة، والخلو والتأمل، ومن الأساليب ما يكون من قبل المربي مثل التعزيز والمدح والثناء، والتغافل عن السلوك.

وللإمام منهج يقي السلوك من الانحراف ومن قواعده استخدام الحوار والمناقشة، وإشغال أوقات الفراغ، واللعب، والقنطرة الصالحة.



Abstract:

The study aimed to examine Imam Al-Ghazali approach in modifying human behavior by identifying the concept of human behavior modification. Another purpose of the study was to clarify the methods of behavior modification as well offering some of the preventive measure suggested by Imam Al Ghazali to delinquency behavior.

To achieve the objectives of the study, the researcher used the analytical descriptive method. The study concluded that Imam Al-Ghazali provided some measure for human modifications comforting with the modern principles in human behavior modification, provided a set of methods to modify the behavior such as worship, and tendency to being a loner , meditation, methods provided by the teacher, such as reinforcement and praise, and overlooking the behavior.

Imam Al Ghazali approach aimed to prevent delinquency by the use of discussion and conversation, following role models, and using positive play activities.

المقدمة:

إن موروث كل أمة داخل في عناصر تكوين ذاتها الحضارية والعلمية، ومن الضروري التبصر بكيفية التعامل مع الموروث باعتباره من مصادر تقدمها وازدهارها، بحيث يخضع لفحص ونقد وتقويم حتى يكون معيناً على تفسير الحاضر واستشراف المستقبل.

ومن هذا الموروث التربوي والنفسي، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين التي لم تحظَ بالاهتمام اللازم لغاية الآن، فلم يظهر دورها في علم النفس وتطوره

عبر التاريخ. فالغريون يبدؤون دراساتهم النفسية منذ عهد مفكري اليونان، ثم ينتقلون إلى المفكرين الأوروبيين في العصور الوسطى ثم إلى عصر النهضة الحديث، ويغفلون إسهامات الدراسات النفسية الإسلامية التي ترجم كثير منها إلى اللغة اللاتينية، والمصيبة الكبرى أن العلماء المسلمين العرب يحذون حذو الغربيين ويغفلون تماماً الإسهامات الإسلامية في تاريخ علم النفس.⁽¹⁾

وعليه فإن الدراسات التربوية النفسية الإسلامية في مجال علم النفس تعد من أهم الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة معاصرة، ويمكن أن تقوم هذه الدراسات بتقصي القواعد والمبادئ النفسية التي أصلها القرآن الكريم والسنة النبوية، أو بالعودة إلى التراث الإسلامي لعلماء الأمة الإسلامية والكشف عن مكنوناته التربوية والنفسية، فالتأمل في مؤلفات ومصنفات العلماء المسلمين يلحظ اهتماماً واضحاً بموضوعات علم النفس، إلا أنه لم يظهر دورها في علم النفس وتطوره عبر التاريخ. ويعدّ الإمام الغزالي من العلماء الأوائل الذين تناولوا مختلف موضوعات علم النفس بشكل عام، وموضوع تعديل السلوك بوجه خاص، فأثناء تناوله لموضوع "رياضة النفوس" في كتاب (إحياء علوم الدين) استخدم الإمام أساليب مبتكرة تقوم على فكرة التخلص من السلوكات الرديئة وتعليم الفرد سلوكات وأخلاق وعادات حسنة، وفي هذا سبق الإمام الغزالي لعلماء النفس الذين بحثوا في تعديل السلوك الإنساني والذي يقوم في الأصل على التخلص من السلوك غير المرغوب فيه إلى سلوك مرغوب فيه. وجاءت الدراسة لتكشف عن العطاء التربوي للإمام الغزالي، إذ تفتقر كثير من دراساتنا التربوية المعاصرة إلى هذا الاتجاه.



هدف الدراسة وأسئلتها:

تهدف الدراسة إلى بيان منهج الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما منهج الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني؟ والذي يتفرع عنه الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي؟
- ما أهداف تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي؟
- ما أساليب تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي؟
- ما المنهج الوقائي من انحراف السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي؟

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال الأمور التالية:

1. توجيه الاهتمام نحو الدراسات التي تناولت موضوعات علم النفس عند العلماء المسلمين.
2. الاستفادة من هذه الدراسة في التأصيل الإسلامي لمنهج تعديل السلوك في علم النفس الحديث.
3. فتح الآفاق أمام مزيد من الدراسات التأصيلية للدراسات النفسية والاجتماعية.

منهجية الدراسة:

يعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يقف عنده مجرد الوصف وجمع المعلومات، بل يتعدى إلى التحليل والتعليل وبيان العلاقات⁽²⁾.

المبحث الأول: نشأة الإمام الغزالي و مفهوم تعديل السلوك

يشمل المبحث مطلبين، المطلب الأول: نشأة الإمام الغزالي ومؤلفاته وحياته العلمية. والمطلب الثاني: مفهوم تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي.

المطلب الأول: نشأة الإمام الغزالي وآثاره وحياته العلمية

الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، زين الدين الطوسي وكنيته: أبو حامد، الفقيه الشافعي، الأصولي المتصوف، الشاعر الأديب، ومن ألقابه أنه مربي السالكين إلى الطريق المستقيم، وجامع أشتات العلوم في المنقول والمعقول⁽³⁾.

ولد رحمه الله بطوس سنة 450هـ - 1058م، وكان والده فقيراً صالحاً يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان لا يأكل إلا من كدّ يده، جالس الفقهاء وعمل على خدمتهم، وكان إذا سمع منهم بكى وتضرع إلى الله أن يرزقه ولداً فقيهاً، وكان أيضاً يحضر مجالس الوعظ، فإذا تأثر بكى وسأل الله أن يرزقه ولداً واعظاً فرزقه الله ولدين: أحمد ومحمد، فكان أحمد واعظاً يلين بوعظه الصخور الصم، وكان محمد أفاقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه⁽⁴⁾.



وقد قرأ الإمام في صباه طرفاً في الفقه ببلده طوس على يد أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر في طلب العلم إلى جرجان لاستماع دروس الإمام أبي نصري الإسماعيلي، ثم رجع إلى طوس وأقبل على الاشتغال بهذه التعليقة ثلاث سنين حتى حفظها ثم سافر إلى نيسابور، وتردد على دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني.⁽⁵⁾

والغزالي نسبة إلى غزل الصوف، أو غزالة: قرية من قرى طوس، كان الغزالي نابغة حيث جدّ واجتهد في الاشتغال والاستذكار والاستظهار، وبرع في الفقه، والجدال، والخلاف، وأصول الدين، وأصول الفقه، والمنطق، والحكمة، والفلسفة، ونبغ في مدة وجيزة، حتى صار يشار إليه بالبنان، وصنّف في تلك العلوم على عهد أستاذه إمام الحرمين، ونقد الآراء الزائفة في هذه العلوم، وتصدى للرد عليها.⁽⁶⁾

وكان رحمه الله سديد النظر، سليم الفطرة، عجيب الإدراك، قوي الحافظة، مرهف الأحاسيس، بعيد الغور، غواصاً في المعاني الدقيقة، معنياً بالإشارات الرقيقة، جامعاً بين علوم الظاهر والحقيقة.

أما عن رحلاته؛ فعندما مات إمام الحرمين خرج الغزالي من نيسابور إلى المعسكر، قاصداً الوزير نظام الملك الذي كان مجلسه يجتمع أهل العلم، وملاذ الأدباء، فناظر الغزالي في حضرته الأئمة وظهر عليهم، فاعترفوا بفضله، وتلقاه نظام الملك بالتعظيم والتكريم، وولاه بتدريس مدرسته ببغداد، وأمره بالتوجه إليها، فقدم بغداد سنة 484هـ بالنظامية، فأعجب الناس بحسن كلامه وفصاحة لسانه، وكمال فضله، وسمو خلقه، وأحبوه من قلوبهم، وأقبلوا عليه إقبالاً منقطع النظير، ومكث مدة يدرّس وينشر العلم، وكان عالي التربية مسموع الكلمة، مشهوراً تضرب به الأمثال، وتشد إليه الرحال، فقصده إلى بيت الله الحرام الحج سنة 488هـ، واستناب



أخاه في التدريس، فلما رجع إلى الشام، أقام بمدينة دمشق يشتغل بالعلم في زاوية الجامع، ثم انتقل إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وانقطع عن الناس وتحرى الأماكن الخالية، ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، وكان قد اعتزم السفر منها بحراً إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش، ولكن عدل عن ذلك حين بلغه نعي الأمير، فعاد إلى وطنه طوس واشتغل بالعلم والعبادة، إلى أن توفي - رحمه الله - سنة 505 بطوس، ودفن بظاهر الطابران، وهي قصبة طوس. (7)

لم يعيش الإمام الغزالي إلا خمسة وخمسين عاماً، وفي أثناء ذلك العمر الذي ليس بالطويل ألف الغزالي عدداً ضخماً من الكتب والرسائل، ما بين كبير وصغير، وأغلب كتب الغزالي في التصوف، والأخلاق، والفقه، فمن هذه الكتب؛ مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، معيار العلم، محك النظر، كتاب الأربعين، الأسماء الحسنى، والمستصفى في أصول الفقه، وكيمياء السعادة، والمنقذ من الضلال، والبيان المنتحل في الجدل، والرسالة الولدية "أيها الولد" وإلجام العوام في علم الكلام، وجواهر القرآن، وتلبس إبليس، وحقيقة الروح، ومشكاة الأنوار، وشفاء العليل في القياس والتعليل.

وأهم كتب الغزالي في الأخلاق، "كتاب إحياء علوم الدين"، "وميزان العمل" وكتاب "إحياء علوم الدين"؛ هو أوسع كتب الغزالي شهرة وأعلاها مكانة وأدناها على طريقته في المزج بين الفقه والتصوف والتفكير. ويسير الغزالي في الإحياء على طريقة يلوح فيها التصوف مشرقة متألفة، فقد تحدث في كتابه عن العبادات والمعاملات والمنجيات، والمهلكات، وفي كل باب من أبوابه يبدأ بمقدمة شبيهة بمقدمة الخطب المنبرية، فيها حمد وتسبيح، وثناء على الله عز وجل، وصلاة على



رسوله ﷺ، وإشارات ورموز إلى حقائق الموضوع الذي سيعرضه ودقائقه، وبعد المقدمة يورد الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالموضوع، وبعدها يورد الأحاديث النبوية، فالآثار والأخبار المروية عن الصحابة والسلف الصالح، ويقرر الحكم الفقهي إذا احتاج الموضوع إلى ذلك، ثم يفيض في التحليل والتفصيل، بروح صوفية مدققة متعمقة، ويمتد في نفسه في هذا المجال حتى تغلب الصيغة الصوفية غيرها من الألوان والترعات⁽⁸⁾.

أما كتاب "ميزان العمل" فيفضل في دقته كتاب إحياء علوم الدين، بل يشبه أن يكون خلاصة له، وميزان العمل هذا مقابل لكتابه "معيان العلم"، وقد نص الغزالي على أنه وضع أكثر هذا الكتاب على طريقة التصوف⁽⁹⁾.

وقد تميز القرن الخامس الهجري وبداية القرن السادس بالنشاط الفكري الواسع حيث انتشرت المذاهب الإسلامية المختلفة، وتوسعت دائرة الاجتهاد وتعددت المدارس، وتعمدت جوانب الفكر، وبرزت في الأفق أسماء فلاسفة الإغريق، وكثر الجدل واشتد الحوار.

وقد ولد الغزالي في هذا العصر، وشاهد ما يموج فيه من مذاهب وملل، وكان لا بد أن يخوض تجربة عظيمة وأن يدرس الإسلام دراسة واعية مستنيرة إضافة لعلوم العصر ومعارفه، ومن ثم يختار الطريق في مجتمع بلغ فيه الفكر أوجه وبلغت فيه الدراسات الفقهية والأدبية والفلسفية قمة النضوج⁽¹⁰⁾.

وكان لا بد أن تظهر خلافات فكرية وصراعات مذهبية، فظهرت القضايا العديدة التي تستوجب المناقشة كالنفس والروح وكيفية الوصول إلى الحقيقة، وعلاقة الجسد بالروح، ونظرة الإسلام إلى الفلسفات القديمة، والمعارف والعلوم

كالفلك والرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة والتصوف، في جو ازدهرت فيه الترجمة بتشجيع من الخلفاء⁽¹¹⁾.

وكان الغزالي مواكباً لهذا الكم الهائل من العلوم والمعارف، فتعمق بدراساتها وفهمها وتحليلها وصولاً إلى حقيقتها، وفي ذلك يقول: "وقد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي وديدي من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلي لا باختياري وحيلتي"⁽¹²⁾، وقد شهد له أساتذته بحسن منهجه وترتيب أفكاره فقد "تفقه الغزالي على أبي المعالي الجويني وبرع في النظر في مدة قريية، وبذ الأقران، وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني، فنظر الجويني في كتابه المسمى بالمنحول فقال له دفتني وأنا حي، هلا صبرت حتى أموت، وأراد أن كتابك غطى على كتابي"⁽¹³⁾.

المطلب الثاني: مفهوم تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي

يشتمل هذا المبحث. بيان مفهومي التعديل والسلوك في اللغة والاصطلاح، ثم بيان مفهوم تعديل السلوك باصطلاح المعاصرين، وأخيراً بيان مفهوم تعديل السلوك وفق رؤية الإمام الغزالي.

التعديل لغةً:

"عدّله : كعدله، وإذا مال شيء قلت عدلته أي أقمته فاعتدل أي استقام"⁽¹⁴⁾. "عدّل الشيء: أقامه وسواه، ويقال عدّل المكيال والميزان، الحكم أو الطلب: غيره بما هو أولى عنده"⁽¹⁵⁾. "وتعديل الشيء: تقويمه يقال عدّله تعديلاً فاعتدل، أي قومه فاستقام"⁽¹⁶⁾.



السلوك لغة واصطلاحاً:

"السلوك: مصدر سلك، وسلك المكان يسلكه سلكاً وسلوكاً وسلوكه غيره وفيه أسلكه والسلك بالفتح، مصدر سلكت الشيء فيه فانسلكت أي أدخلته فيه فدخل"⁽¹⁷⁾ و"السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه يقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك"⁽¹⁸⁾.

ويلحظ من المعاني اللغوية أن كلمة التعديل تعني تقويم الشيء، والسلوك سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، فتعديل السلوك لغة تعني تقويم سيرة الإنسان واتجاهه ومذهبه.

أما السلوك اصطلاحاً فيعرف بأنه : "ذلك النشاط الإنساني الذي يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو عمل سواء أكان إرادياً أم غير إرادي، ظاهراً أم باطناً"⁽¹⁹⁾، ويعرف بأنه "كل حركة أو نشاط أو تصرف أو عمل يقوم به الإنسان في حياته مدفوعاً ببواعث ودوافع معينة، فطرية أم مكتسبة، لإشباع حاجاته الطبيعية والنفسية والاجتماعية"⁽²⁰⁾. وعليه يعرف السلوك بأنه كل ما يصدر عن الإنسان من نشاطات، أما تعديل السلوك فيعرف بأنه : " تغيير السلوك عن طريق تغيير الظروف المحيطة به سواء منها التي تسبق ظهور السلوك أو التي تحدث بعد السلوك والذين يعملون في هذا الميدان يعتقدون أن الفرد سيء التصرف يؤدي سلوكاً غير ملائم، إما لأنه تعلم أن يسيء التصرف أو لأنه لم يتعلم كيف يحسن التصرف أو كلاهما معاً، أو أنه قد عُزِّز على إساءة التصرف، وفي أي الأحوال يمكن إعادة تعليمه بحيث يحسن التصرف"⁽²¹⁾.

ويعرّف بأنه : " تعزيز السلوك المرغوب فيه ومعاقبة السلوك غير المرغوب فيه"⁽²²⁾، و يقتصر هذا التعريف على إتباع أسلوب الثواب والعقاب في تعديل السلوك، ويعرّف: "بأنه شكل من أشكال العلاج النفسي، ويعنى أساساً بتغيير السلوك المشاهد أي السلوك الذي يمكن ملاحظته"⁽²³⁾. ويعرف انه مصطلح عام يشير إلى مجموعة من الإجراءات التي انبثقت من قوانين السلوك، وهي القوانين التي تصف العلاقات الوظيفية بين المتغيرات البيئية والسلوك. وهو عملية منظمة تشتمل على تطبيق إجراءات علاجية معينة الهدف منها ضبط المتغيرات المسؤولة عن السلوك، وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة والمتمثلة في تغيير السلوكات ذات الأهمية الاجتماعية على النحو المرغوب فيه.⁽²⁴⁾

يلحظ من خلال التعريفات السابقة أن تعريف تعديل السلوك يحمل عدة تفسيرات؛ فهناك من يرى أن هذا المصطلح يدل على العلاج النفسي، وآخر يقتصر على الثواب والعقاب، وآخر يبين تعديل السلوك على نظريات التعلم.

ويرى الباحث أن تعديل السلوك: إحداث تغيير هادف في أنماط السلوك غير المرغوب فيه نحو الأفضل، وتعزيز ما هو مرغوب فيه وفق مرجعية خاصة⁽²⁵⁾، ويشترط في التعريف الاستناد إلى مرجعية خاصة، إذ لا بد من ضوابط ومعايير تحدد السلوك المرغوب فيه الذي يسعى إلى إكسابه، والسلوك الذي يسعى إلى إزالته، ولا بد أن يكون التغيير هدفاً.

وقد تناول الغزالي موضوع تعديل السلوك، وعلاج أمراض القلوب بأسلوب منظم وواضح ومقنع يدل على عقلية منظمة منطقية، ودقة في الملاحظة، وقدرة رائعة في تحليل السلوك، والغوص في أعماق النفس البشرية، ومعرفة دقيقة بأحوالها وبطرق تهذيبها وعلاجها، ولقد استخدم الغزالي مصطلح "الخلق" و "الأخلاق"

للدلالة على نمط السلوك الذي يقوم به الفرد في المواقف المختلفة، أو ما يمثل شخصيته، فبدأ الغزالي تناوله لهذا الموضوع بتعريف حسن الخلق، أي السلوك السوي السليم؛ إذ إنه على أساس معرفتنا به تكون معرفة الخلق المذموم، أي السلوك غير السوي أو المنحرف. وبين الغزالي أن الأخلاق قابلة للتغيير، أي أن الأخلاق - السلوك - يمكن أن تكتسب بالتعليم، ويمكن تغييرها أيضاً بالتعلم، وهذا القول يتفق مع ما يقوله علماء النفس المحدثون من أصحاب نظرية التعلم، غير أن الغزالي لم يغفل أيضاً عن أهمية دور الوراثة، ولم يغفل عن مراعاة الفروق الفردية في سرعة التغيير والتبديل للأخلاق⁽²⁶⁾.

وفيما يلي تعريف الغزالي للخلق، ورأيه في قبول الأخلاق - السلوك - للتغيير، فيعرف الإمام الغزالي الخلق - السلوك - فيقول عنه: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة، التي هي المصدر، خلقاً سيئاً، وإنما قلنا: أنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم⁽²⁷⁾.

يلاحظ أن الغزالي يستخدم مفهوم الخلق بنفس المعنى لمفهوم السمة، فالسمة هي نمط سلوكي عام ودائم وثابت نسبياً، يصدر عن الفرد في مواقف كثيرة. وهي استعداد أو قوة أو دافع داخل الفرد يدفع سلوكه ويوجهه بطريقة معينة، فالشخص

الذي يتصف بالكرم مثلاً، يكون دائماً على استعداد للتصرف بكرم في جميع الظروف والمواقف. (28) ويقترب هذا التعريف كثيراً من تعريف الغزالي للخلق.

ويرى الغزالي أن الأخلاق الإنسانية قابلة للتعديل والتغيير عن طريق التحكم في النفس بالمجاهدة، والرياضة، والتزكية، والتهديب. وجاء ذلك في معرض رده على الجبريين من زعموا أن الأخلاق لا يمكن تغييرها أو تعديلها لأن الطباع لا تتغير، فأخذ بالرد عليهم وتنفيذ آرائهم بقوله: "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ "حسنوا أخلاقكم". وكيف ينكر هذا في حق الآدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن، إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والإنقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق" (29).

ويقر الغزالي قاعدة أخرى في مبدأ قبول الأخلاق للتغيير والتبديل ألا وهي الفروق الفردية في سرعة التغيير والتبديل فيقول: "الجبيلات مختلفة بعضها سريعة القبول، وبعضها بطيئة القبول، و لاختلافهما سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلية وامتداد مدة الوجود.. والسبب الثاني إن الخلق قد يتأثر بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له، وباعتقاد كونه حسناً ومريضاً" (30).

ويرى الغزالي أنه لو لم تكن الأخلاق قابلة للتغيير، لما كانت هناك فائدة من المواعظ والوصايا، وأحاديث الرسول ﷺ، والتأديبات، لأنها تقوم على الأمر بالأخلاق الحسنة والنهي عن الأخلاق السيئة، ويرى أن أخلاق الحيوانات قابلة للتغيير فالأولى أن تكون أخلاق الإنسان قابلة لذلك، وهو بهذا يقر مبدأ تغيير السلوك وتبذله.



ويؤكد الغزالي أنه ليس المقصود من المجاهدة في رياضة النفوس وتهديب الأخلاق هو قمع العزائر الموجودة في أصل جبلة الإنسان كالشهوة والغضب وقهرها كلية، فإن ذلك غير ممكن، وإنما المقصود من مجاهدتها وتهديبها هو سيطرة الإنسان على نفسه، بالتحكم فيها وقت الغضب، كما يتحكم في شهوته فلا يكون كالحيوان الذي يستجيب لغريزته في تلقائية ساذجة وحشية⁽³¹⁾، فالشهوة والغضب ضروريان للإنسان، ومفيدان له، يقول الغزالي "فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه وهلك"⁽³²⁾، والمطلوب من مجاهدة الشهوة والغضب هو ردها إلى الاعتدال وهذا المراد بتغيير الخلق أي تعديل السلوك.

إن ما ذهب إليه الغزالي من أن الأخلاق قابلة للتغيير أمر متفق عليه بين علماء النفس الحديث وعلماء التربية الإسلامية، وهو الأصل الذي تقوم عليه فلسفة التربية والتعليم والعلاج النفسي. ولم يغفل الغزالي دور الوراثة، إذ أنه قد أشار إلى "أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة، وللشرع أيضاً وهذا الاعتدال يحصل على وجهين: أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل، حسن الخلق، فقد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع، فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدباً بغير تأديب والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب"⁽³³⁾، والوراثة التي أشار إليها الغزالي هي الكمال الفطري الذي يؤدي إلى حسن الخلق وكمال قوة العقل، والفطرة التي تحدث عنها الإمام هي "النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، وهي ما خلقه عليه جسداً وعقلاً، فمشي الإنسان فطرة

جسدية... واستنتاج المسببات من أسبابها، والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية"⁽³⁴⁾. وهي الخصائص والصفات التي خلق الله الناس عليها، وتشمل التوحيد والدوافع الفطرية، والأخلاق، وتظهر في صور وعلامات كثيرة⁽³⁵⁾.

فخلاصة رأي الغزالي أن السلوك هو هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا صدر عنها أفعال جميلة يكون السلوك حسناً، وإذا صدر عنها أفعال قبيحة يكون السلوك سيئاً، ويؤكد على أن السلوك يعتدل بالاكْتِسَاب، وأن الاكْتِسَاب أو التربية هي التي تغير سلوك الإنسان، وتختلف سرعة التغيير من إنسان إلى آخر، بسبب اختلاف البيئات والفروق الفردية والوراثة.

المبحث الثاني: أساليب تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي وأهدافه

يشمل المبحث مطلبين، المطلب الأول: أهداف تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي. والمطلب الثاني: أساليب الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني.

المطلب الأول: أهداف تعديل السلوك عند الإمام الغزالي

يهدف الإمام الغزالي من إحداث تغييرات في سلوك الأفراد إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها.

أولاً: تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى.

يعد الارتقاء بالنفس الإنسانية إلى مرتبة العبودية والوصول بها إلى المرتبة التي تنال بها رضا الله سبحانه وتعالى وتقرّبها منه من أهداف تعديل السلوك عند الإمام الغزالي لذا كان الغزالي يحرص على أن يوجه تلاميذه إلى هذا الهدف، ويحذّره من مطامع الدنيا الفانية، ويدعوهم دائماً أن يكون مقصدهم هو إحياء الشريعة



الإسلامية وإرضاء الله عز وجل، ويرى الإمام الغزالي أن الطاعة والتربية بالمجاهدة والرياضة، إنما تتم على وجهها الصحيح إذا كانت وفقاً لأوامر الله تعالى وتحقيقاً لرضاه، ويركز على أن من أهداف تعديل السلوك إعداد الإنسان في هذه الحياة الدنيا للحياة الآخرة، ولذا فإن رضوان الله تعالى والاتصال به، وعبادته من أهم غايات تعديل السلوك.

يقول رحمه الله: "وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه، وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى" (36).

ثانياً : تحقيق الكمال الإنساني وتهذيب قوى النفس.

يهدف الإمام الغزالي من تهذيب الأخلاق وتعديل السلوك إلى الكمال الإنساني، ويتحقق عندما تعرف النفس الإنسانية الله سبحانه وتعالى وتتصل بالخالق، ويتم الكمال الإنساني عن طريق عملية التزكية التي تستهدف الارتقاء بالإنسان من مستوى الخضوع للشهوات والأهواء إلى مقام العبودية لله تعالى، ولقد انطلق الإمام الغزالي في نظريته إلى الكمال الإنساني من أن النفس الإنسانية التي خلقها الله سبحانه وتعالى قابلة للكمال والترقي والتعديل، وتكملها لا يأتي إلا باكتساب الفضائل والأخلاق والعلم والعمل (37).

ويتضح تركيز الإمام في الوصول إلى الكمال الإنساني بقوله "اعلم أن المقصود من الأعمال الصالحة، تكميل النفس وتركيتها وتصفيها وتهذيب أخلاقها، وكل من النفس والبدن متأثر بصاحبه، فإن النفس إن كملت وكانت زاكية

حسنت أفعال البدن وكانت جميلة، وكذا البدن إن جمعت آثاره حدث منها في النفس هيئات حسنة، وأخلاق مرضية، فإذا الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان...» (38)

ويركز الإمام الغزالي في تعديل السلوك على مكونات النفس الإنسانية الرئيسة، وهي القلب والعقل والروح والجسم، وينظر إليها كلاً متكاملاً، وبناء على هذه النظرة، جاء تأكيد الإمام الغزالي على أساليب وطرائق للتعديل تتناول تلك المكونات بشكل متكامل ومتوازن، فكانت المجاهدة والرياضة لتزكية القلب والروح وكان التفكر لتربية العقل وترقية النفس الإنسانية في مجالات الإدراك، وكان اللعب لتربية الجسم وتنشيط العقل والحواس.

ومما يؤكد عناية الإمام بمكونات النفس الإنسانية قوله " اعلم انه قيل في المثل المشهور: إن النفس كالمدينة واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها، والقوة الشهوانية واليها والقوة الغضبية شحنتها، والقلب ملكها والعقل وزيرها، والملك يدبرهم حتى تستقر مملكته وأحواله " (39).

ويقول: " عليك بحفظ قلبك وإصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل الجهود، فانه أعظم هذه الأعضاء خطراً، وأكثرها أثراً، وأدقها أمراً وأشقها إصلاحاً " (40)، ويقول عن العقل " اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن له أس " (41)

وتهذيب قوى النفس الإنسانية لا يعني قمع نزعاتها وغرائزها واستئصالها، فإن ذلك مخالفة لطبيعة الإنسان، وتعطيل للغاية التي من أجلها أوجد الله سبحانه



وتعالى تلك التزعات والغرائز والقوى، ويرى الإمام الغزالي أن النفس الإنسانية تصل إلى مرتبة الفضيلة إذا ضبطت قواها وجوارحها عند حد الاعتدال؛ حيث لا إفراط ولا تفريط، ويشير الإمام الغزالي إلى الآثار الجيدة التي تترتب على تهذيب القوى والتزعات، وهي الحكمة والعفة والحلم والعدالة، ويزيد الأمر وضوحاً بأن ضبط الشهوة عند حد الاعتدال يجعل من الغضب شهامة وشجاعة وانتصاراً للحق، وتلك قيم إيجابية لابد من إبرازها والتأكيد عليها⁽⁴²⁾.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى "إن النفس الأمانة بالسوء هي أعدى لك من إبليس، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها، فلا تغرنك نفسك بالأمان والغرور؛ لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل، فدعواها باطل وكل شيء منها غرور، وإن رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت، وإن غفلت عن محاسبتها غرقت، وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك إلى النار"⁽⁴³⁾، فيفهم من كلام الغزالي أن الحالة التي تكون عليها النفس تقوده إلى مجموعة السلوكات التي تصدر عنه، لذا عني الإمام رحمه الله تعالى بتهذيب قوى ونزعات النفس.

ثالثاً: تحقيق السعادة للنفس الإنسانية.

إن الهدف الأسمى من تعديل السلوك وتهذيب النفس تحقيق السعادة، وتحقيق بالعبادة واعتدال الأخلاق؛ حيث تتحرر النفس من كل قيود الجسد، ومن عوامل العبودية، عندئذ تكون حرة قوية لا تخضع إلا لله ولا تعبد إلا الله، فتمثل لأمره وتتجنب ما ينهى عنه، لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات، 56)، فالعبادة هي مصدر السعادة⁽⁴⁴⁾.

ويؤكد الإمام أن السعادة تأتي من اعتدال السلوك فيقول : " تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء : قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك، فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العدل دل على طريق الهداية. وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية في الدين والدنيا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة...." (45)، وهنا تبدو أهمية التربية واضحة في تهديب النفس وردها إلى الاعتدال الذي يحقق السعادة للإنسان.

ويشير الإمام رحمه الله تعالى إلى أن السعادة الحقيقية تكون في الآخرة وهذه السعادة لا تكتمل إلا بالفضائل يقول "السعادة الأخروية التي هي بقاء لا فنا وسرور لا غم....ولا تكتمل الا بالفضائل النفسية التي حصرنا جملتها من قبل في أربعة أمور العقل وكمال العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الإنصاف...." (46). ويفهم من كلام الإمام أن السعادة لا تكون إلا بالفضائل السلوكية لذا حرص أن يتحلى الإنسان بهذه الفضائل، ويسعى لمجاهدة نفسه من أجل الالتزام بها.

ويهدف الإمام الغزالي رحمه الله تعالى من تعديل السلوك إلى اعتداله أي أن يكون السلوك الحسن مستقرا في النفس، ممتدا في أعماقها بعيدا عن الإفراط والتفريط، يقول " فان قلت بماذا أعلم أن الحاصل لي هو الخلق الجميل وهو الوسط المعتدل بين طريقي الإفراط والتفريط فطريقك أن تنظر في الأفعال التي يوجهها ذلك الخلق الذي فيه مجاهدتك فإذا التلذذ بفعله فاعلم أن الخلق الموجب له راسخ في نفسك، فان كان ذلك الفعل قبيحا فاعلم أن الخلق القبيح مثل أن تلتذ



بإمساك المال وجمعه فموجبه خلق البخل فعود نفسك نقيضه، والأخلاق الحسنة والسيئة قد فصلها الشرع ويجمعها ما صنف الآداب النبي عليه السلام وهي مشهورة⁽⁴⁷⁾

ويقول أيضا: "ومهما حصلت هذه الأخلاق صدرت منها هذه الأفعال، أي يصدر من خلق الشجاعة الإقدام حيث يجب وكما يجب وهو الخلق الحسن المحمود فلا الشدة في كل مقام محمود، ولا الرحمة في كل مقام محمود، بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع"⁽⁴⁸⁾.

ويؤكد الإمام أن الاعتدال يقود إلى الصحة النفسية والبعد عن الأمراض النفسية التي تدل على سوء تكيف الفرد مع نفسه ومحيطه، كما أن الاعتدال يؤدي بالضرورة إلى صحة البدن والخلو من الأمراض، يقول الإمام " فقد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه "⁽⁴⁹⁾، كما أن الاعتدال يقود إلى القرب من الله سبحانه وتعالى، يقول "... وإنما الغرض بيان أن الإنسان بسبب هذه القوى الثلاث بصدد هذه الأخلاق كلها ولكل واحد طرفان وواسطة وهو مأمور بالتوسط والاستقامة بين طرفي الإفراط والتفريط في جملة ذلك حتى إذا حصل كمال كما لا يقربه إلى الله..."⁽⁵⁰⁾.

سادسا : تحصيل العلوم.

يرى الغزالي انه إذا كان العلم أفضل الأعمال فانه تعلمه طلب للأفضل، وتعليمه إفاده للأفضل، وان إفادة العلم وتذيب النفوس عن الأخلاق المذمومة المهلكة، والمراد بالتعليم إرشاد المتعلمين إلى الأخلاق الحمودة المسعدة.

إن العلاقة بين العلم والأخلاق علاقة صميمية؛ إذ أن الغزالي أوضح لنا شرف العقل، وشرف العلم يكون من قبل العقل، فالعقل منبع العلم وأساسه، والعلم وحده لا يغني بدون الأخلاق، ويعتبر الغزالي تحصيل العلوم من أفضل العبادات ولكن يشترط ابتغاء مرضاة الله، ويرى الاهتمام بعلوم الدين والدنيا مع ترجيح كفة العلوم الدينية على العلوم الدنيوية وربط العلم بحاجات البشر لإشباع الهدف الديني والدنيوي في وقت واحد والإشادة بالعقل لأنه وسيلة العلم والمعرفة والأداة الرئيسة لبلوغهما⁽⁵¹⁾.

يقول الإمام " فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة، إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة والمهلكة إلى الأخلاق المسعدة وهو المراد بالتعليم "⁽⁵²⁾، وبينه الإمام إلى أهمية العلم وأنه سبب السعادة الأبدية، وهو من أفضل القربات إلى الله، يقول " وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأن أفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم وبكيفية العمل، فأفضل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ بشرف ثمرته، وقد عرفت أن ثمرة العلم العز من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة، ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز والوقار، ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع، حتى إن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجولة على التوقير لشيوخهم، لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة " ⁽⁵³⁾.



المطلب الثاني : أساليب الإمام الغزالي في تعديل السلوك الإنساني.

يشمل المطلب نوعين من الأساليب، المجموعة الأولى، أساليب تعتمد بشكل مباشر على الفرد والمجموعة الثانية : أساليب تكون من قبل المربي. وفيما يلي عرض لأهمها.

المجموعة الأولى : أساليب تعديل السلوك من قبل الفرد.

يشير الإمام الغزالي رحمه الله إلى مجموعة من الأساليب التي يمكن أن يقوم بها الفرد، وفيما يلي أهمها :

1. أداء العبادات ومحاسبة النفس:

للعبادات أثر واضح في سلوك الفرد، فهي تتركز النفس وتزيد من مراقبة الله تعالى في جميع الأحوال، فيؤدي الفرد الأعمال الصالحة، ويتعدى عن السلوكات الضارة، وهذه النتيجة تسر المجتمع؛ بأن يزداد عدد من يسلك سلوكا صحيحا مرغوبا فيه، ويقل عدد الذين يسلكون سلوكات غير مرغوب فيها، ومن هنا يمكن القول إن العبادات تصلح الفرد والمجتمع (54).

تنظم العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة سلوك الإنسان وفكره، بل تدفعه إلى فعل الخير، وتحول بينه وبين ما لا ينبغي، وهي من أهم وسائل التربية الخلقية وغرس الفضائل والقيم والمثل العليا وإصلاح أحوال الإنسان، وإذا لم تحقق العبادات ما هو مطلوب منها فلا تعد عباده بل تجلب الهم لصاحبها.

وبيّن الغزالي أن تعديل السلوك يكون عن طريق تعلم الدين وممارسة العبادات فيقول: "فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في أيام رمضان، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة وأكل الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش" (55). فلكل عبادة تأثيرها في السلوك؛ فالصلاة مثلاً، تمنع الإنسان من ارتكاب الفحش لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: 45)، والصوم يؤدي إلى العفة وغيض البصر والإحساس بالفقراء، يقول مبيّن أثر الصوم " فإذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات، فان الصوم فناء مراد النفس وفيه صفاء القلب وضمانة الجوارح والتنبيه على الإحسان إلى الفقراء والالتجاء إلى الله والشكر على ما تفضل به من النعم وتخفيف الحساب، ومنة الله في توفيقك للصوم أعظم من أن تقوم بشكرها" (56).

ويؤكد الغزالي على أهمية الإيمان ودوره في حسن الخلق فيقول: "فان حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه القويم وهي بحملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق" (57)، فالإيمان من القيم التي تدعم الشخصية الإنسانية وتسهم إسهاماً فاعلاً في تعديل السلوك الإنساني، فالإيمان وما يتضمنه من وضوح الرؤية وبيان الطريق السليم في علاقة الإنسان مع محيطه، وقد الحق سبحانه وتعالى علاقة الإيمان في ظهور السلوك الايجابي في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: 13).

وتؤكد الاتجاهات النفسية الحديثة أن الإيمان يحدث قوة خارقة تمد الإنسان بطاقة تعينه على تحمل المشاق والصعاب والظهور بمظهر سلوكي يتقارب مع الدين (58).

ومحاسبة النفس أن يقوم الفرد من تلقاء ذاته بمساءلة نفسه عما قام به من عمل أولاً بأول حتى تطمئن نفسه أن ما قام به يتفق مع أوامر الحق، فإذا حاسب نفسه على مذموم أفعالها وعرفها حقيقتها وداوم على تأنيبها فإنها ستعتاد فعل الخيرات بما يتفق ومعيار الشرع، وتقوم المحاسبة على الإيمان القوي الراسخ بأن الله سبحانه وتعالى يراقب الإنسان في كل سلوك وتصرف وسوف يحاسبه عليه يوم القيامة، وهذه المحاسبة عمل بالمنهج النبوي الشريف واقتداء بالسلف الصالح، وتكون المحاسبة قبل السلوك وبعده.

ويركز الإمام الغزالي على أسلوب المحاسبة الذاتية لبناء الوازع الداخلي، والوازع الداخلي هو الضمان الحقيقي للتخلق بالأخلاق الحمودة، علاوة على أنه يؤكد الثقة بالنفس. ولذا كان الإمام الغزالي يهدف إلى إيجاد القلب المرتبط بالله تعالى، ليبقى صمّام الأمان لضبط جميع قوى النفس الإنسانية عند حد الاعتدال، ومن هنا جاء تركيز الإمام الغزالي على أن يخلو الإنسان بنفسه فيحاسبها ويذكرها بالثواب والعقاب ونعيم الجنة وجحيم النار فيكون ذلك دافعاً لها إلى حد الاعتدال وحسن الانقياد للعقل والشرع فيصلح حالها (59).

2. المجاهدة والتكرار (تكلف الفعل):

أكد الإمام الغزالي رحمه الله تعالى على أهمية المجاهدة للوصول بالسلوك إلى أرقى الحالات، فمن طريق المجاهدة يتم تهذيب السلوك والتخلق بالأخلاق القويمة، يقول: "طريق إصلاح هذه الأخلاق كلها بالمجاهدة والرياضة، ومعنى

المجاهدة أن يكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها فتعمل بنقيض موجبها. فان غلب البخل لا تزال تتكلف البذل بالمجهود، وتداوم عليه مرة بعد أخرى حتى يسهل عليك البذل في محله....⁽⁶⁰⁾. والمجاهدة للنفس شاقة؛ فغالبا ما تكثر أمام النفس الرغبات والشهوات التي لم يكن لها وجود في الجانب الشعوري والوجداني من الذات، والنفس بطبيعتها لا تشبع إذا ما أطلق لها العنان في الرغبات والشهوات، ولا تقف عند حد معين، وهذا ما يجعل أمر المجاهدة شاقا، ويستصعبه كل من يستلذ الشهوات⁽⁶¹⁾.

أما التكرار هو ما يقول عنه الإمام الغزالي تكلف الفعل الذي يراد تحويله إلى سلوك ثابت، والتكلف لا يكون إلا بالمجاهدة والتكرار، فيقول: "فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أن يتكلف فعل الجواد وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له، ويتيسر عليه فيصير به جواداً"⁽⁶²⁾، وهذا هو المقصود بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

ويقول في موضع آخر: "وينبغي أن تعلم أن من يبذل تكلفاً فليس بسخي، وان من يتواضع تكلفاً فهو ثقیل على نفسه، وهو عاطل عن خلق التواضع، بل الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية وتكلف. لكن التكلف هو طريق تحصيل الخلق، فانه لا يزال يتكلف أولاً حتى يصير ذلك طبعاً وعادة"⁽⁶³⁾.

والهدف من تكرار السلوك أن يصير ثابتاً مستقراً عند الإنسان، والتكرار هو ما عناه الإمام الغزالي بقوله: "ثم لا يكن في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق



استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر، وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ، وإنما المقصود من العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على أقوى العادات⁽⁶⁴⁾ فالمواظبة في كلام الإمام هي التكرار.

ويبحث الإمام على التكرار فيقول في كتابه "ميزان العمل": "فإذا الطريق إلى تركية النفس، اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة، حتى إذا كان ذلك معتاداً بالتكرار مع تقارب الزمان، حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها، بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع، فيحق عليه ما كان يستثقله من الخير"⁽⁶⁵⁾.

3. التعليم:

علمنا رسول الإسلام محمد ﷺ أن السلوك غير المرغوب فيه قد يكون سببه الجهل، فعندما يرى عليه الصلاة والسلام سلوكاً خاطئاً، يقوم عليه الصلاة والسلام بتعليم من صدر منه السلوك. ويدل على ذلك الحديث الذي يرويه عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كُنْتُ فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي « يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ وَكُلَّ يَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ »⁽⁶⁶⁾.

وأكد الإمام الغزالي أن التعليم سبب رئيس في تغيير السلوك، فحث على أمرين لتغيير السلوك، الأول: مخالطة المتخلفين بالأخلاق الحسنة، والثاني: التعليم، فيقول: "ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكْتِسَاب، فربّ صبي خلق صادق اللهجة سخياً جرياً، وربما يخلق بخلاقه، فيحصل ذلك فيه بالاعتماد

ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعليم⁽⁶⁷⁾، ويقول في موضع آخر "...فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكتمل بالتربية والتهذيب والتغذية بالعلم..."⁽⁶⁸⁾

وأكد على أهمية التعلم فيقول: "ويعلم كيفية الجلوس، ويمنع كثرة الكلام، ويمنع أن يتبدى بالكلام، ويمنع أن يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره من هو أكبر منه سناً، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء..."⁽⁶⁹⁾

وينادي الإمام الغزالي بأن يكون العلم بعامة وعلم الشريعة بخاصة مغيران سلوك الإنسان فيقول: "كم طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فما أبعدته عن العلم الحقيقي الجالب للسعادة، فالذي يحصله صاحب الأخلاق الرديئة حديث ينظمه بلسانه وكلام يردده، ولو ظهر نور العلم على قلبه لحسنت أخلاقه"⁽⁷⁰⁾

4. مخالطة الصديق والعدو الذي يكشف العيوب ويحددها للفرد:

يحث الإمام الغزالي الإنسان إلى اللجوء إلى شيخ قدير بصير بعيوب النفس فيحكمه في نفسه ويتبع إرشاداته في الطريق الذي يراه مناسباً لعلاج عيوب نفسه، فيقول "وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه، ويعرفه طريق علاجه"⁽⁷¹⁾، ويقول "فاعلم انه ينبغي للسلالك شيخ مريد مرب ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً، ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه"⁽⁷²⁾، ويحث الغزالي الإنسان أن يضع نفسه تحت رقابة صديق صدوق متدين لملاحظة أحواله وأفعاله ليكشف عن سلوكاته القبيحة

ويبصره في عيوبه، فيقول: "أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأقواله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين" (73).

ويدعو الإمام الغزالي الإنسان إلى النظر في كلام الأعداء ليستفيد من معرفة عيوب نفسه فيقول: "أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط ترى المساوئ، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه" (74).

ويرى الإمام الغزالي أن من الأخلاق والسلوك ما لا يتعدل ويتهدب إلا بمخالطة الناس، فما يراه من السلوك مذموماً بين الناس يبتعد عنه، فنراه يحث الإنسان على: "أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به، وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه..." (75).

وينصح الإمام بالمخالطة لفوائد لا تتحقق إلا بها فيقول "اعلم أن المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل إلا بالمخالطة، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة. فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي، وهي التعليم والتعلم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأديب...." (76).

ويؤكد الإمام الغزالي على أن الخلوة تعمل على تركية النفس وتصفية القلب وتهذيب الخلق، ففي الخلوة يتأمل الإنسان ما يصدر عنه من سلوكات، وما ينبغي تجنبه، وما ينبغي فعله فيقول الغزالي: "وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل، وضبط

السمع والبصر.. فلا بد من ضبط الخواس إلا عن قدر الضرورة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة... (77).

فالغزالي أبان أن الاختلاط بالناس وسيلة ناجحة في حل كثير من المشكلات السلوكية، حيث أن الاحتكاك بالناس غالبا ما يكشف للمرء عيوب نفسه التي تخفى عليه في العادة، ومتى عرف عيوب نفسه حاول التخلص منها وشعر بالسعادة. ويشير بعض الباحثين إلى أن علماء النفس يوافقون الغزالي في تشخيص العقد النفسية وبيان علاجها الحاسم، حيث كان ينتهج منهاجا علميا يقوم على الملاحظة، ويستخدم الفروض، ويحاول التحقق من صدقها بتطبيقها على الواقع (78).

المجموعة الثانية : أساليب تعديل السلوك من قبل المربي

يشير الإمام إلى مجموعة أخرى من الأساليب التي يجب على المربي والشيخ إتباعها لإحداث تعديل في سلوك المريد والمتعلم، وينبه الإمام إلى دور المربي في تعديل سلوك التلميذ، يقول "فاعلم انه ينبغي للسالك مرشد مرب يخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقا حسنا، ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه (79)". وفيما يلي أهم هذه الأساليب التي ينصح الإمام بإتباعها.

1. التغافل عن السلوك و المعاتبة السرية.

يدعو الإمام الغزالي إلى التغافل عن السلوك غير المرغوب فيه، إذا صدر عن الطالب لأول مرة فيقول: "فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكشف ولا يظهر له أنه يتصور أن يتحاسر أحد على مثله، ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه" (80).

ويدعو الإمام الغزالي بعد التغافل عن السلوك غير المرغوب فيه، أن يعاتبه على سوء سلوكه دون أن يشعر به أحد، ويبين له السلوك السليم، وهذا الأسلوب يدل على مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد والتدرج في تعديل السلوك، يقول الغزالي "فإن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتخضع بين الناس" (81) وبهذا الأسلوب يتحقق الحفاظ على احترام الفرد لذاته والشعور بكرامته وباعتزازه بنفسه عن طريق عدم إذلاله بالوسائل القاسية التي تدفعه إلى استعمال وسائل خفية أو علنية للدفاع عن تأكيد ذاته، باللجوء إلى اغاظة الآخرين، وهذا هو أساس الانحراف. وعمل الغزالي على استغلال هذا الدافع عن طريق توضيح الخطأ للطفل المخطئ، وإشعاره بأن ما قام به من عمل مذموم يصغر من شأنه ويقلل من قيمته عند الآخرين عندما يفتضح أمره ويعرفون سوء فعله (82)

وهذه خير نصيحة في تربية الأطفال فالغزالي ينهى عن كثرة اللوم، كي يكون اللوم اثر في النفوس فعلى الأب أن يحفظ هيئته مع ابنه، وعلى الأم أن تتعاون مع الأب في التربية، فتعظ ابنها وترشده بحكمة وعلى انفراد حتى تثمر العظة، ويعتاد الخلق الكريم، فالطفل شديد الإحساس، سريع التأثر، لذا يجب التعامل معه بلين وعطف، ويجب أن تجتهد في تفهيمه السبب في فعل أمر أو تجنيبه آخر (83)

والغزالي بهذا يوصي بتحاشي العقاب، لاسيما إذا ستر الصبي المخالفة؛ وذلك لأنه علم من أمر النفس ما علم بحيث أصبح يحس إحساساً كاملاً بما يخالج النفس من مشاعر (84).

ويحث الغزالي على تعديل السلوك وفق ما يراه علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء التربية في معاملة الطفل إذا أخطأ؛ فالتلميح خير من التصريح والنصيحة على انفراد مع الرحمة تجدي أكثر من التوبيخ صراحة أمام التلاميذ، فالطفل حين يشعر بالقسوة وتوبيخه يريد أن يظهر شخصيته فيعارض ما يقال له، ويخالف ما يعرض عليه⁽⁸⁵⁾.

يقول الإمام الغزالي: "أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق، بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار"⁽⁸⁶⁾، وعليه فيتوجب على المربي أن يعرض ويلمح للفرد الذي يسلك سلوكا غير سوي، وهذا التعريض قد يكون كافيا ليرتدع ويتعدى عن السلوك غير المرغوب فيه ولا يكرره مستقبلا.

2. التدرج في التخلص من السلوك السيئ.

ينصح الغزالي باتباع طريقة التدرج إذا كان الخلق السيئ المطلوب علاجه متأصلاً ومستقراً في السلوك، وذلك بأن ينقل الفرد من الخلق السيئ إلى خلق آخر أخف منه ويستمر على هذا النحو حتى يتخلص نهائياً من الخلق السيئ المطلوب علاجه في الأصل، فيقول: "ينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه.. فإذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام، ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها"⁽⁸⁷⁾. ويؤكد الإمام على سلوك سبيل التدرج مع من لم يستطع ترك الخلق السيئ دفعة واحدة فيقول "

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة أن ينقله المربي من الخلق المذموم إلى خلق أخف منه " (88). وقد توصل بعض المعالجين النفسيين حديثاً إلى أسلوب في العلاج النفسي مستمد من أبحاث سكرنر، وهو يشبه كثيراً الأسلوب الذي استخدمه القرآن في علاج تعاطي الخمر، وأسلوب الغزالي في التدرج للتخلص من السلوك السيئ، ويعرف هذا الأسلوب في العلاج النفسي "بالتشكيل" (89).

والتشكيل في علم النفس أن يجرأ المرغوب فيه إلى وحدات صغيرة، ويعرف أنه الإجراء الذي يشتمل على التعزيز الإيجابي المنتظم للاستجابات التي تقترب شيئاً فشيئاً من السلوك النهائي بهدف إحداث سلوك لا يوجد لدى المتعلم (90). وبهذا يؤكد الإمام على مبدأ من مبادئ التربية وهو الفروق الفردية بين الناس؛ وهو أن يكون المربي على وعي بالصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء أكانت تلك الصفة جسمية أم عقلية، أم مزاجية، إلى غيرها من الصفات (91).

3. استخدام الترهيب والتهديد بالعقوبة.

يعتمد التهديد والترهيب في القرآن الكريم على إثارة الانفعالات والعواطف، كإثارة الخوف من الله تعالى الذي يكون وسيلة ردع وزجر للإنسان من اقتراف المعاصي والذنوب (92)، ومن ذلك قوله تعالى عن الذي سلك سلوكاً معرضاً عن حكم الله، يقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ طه 124، فعندما يسمع الإنسان هذه الآيات فلا بد أن يفكر في تغيير سلوكه.

يحث الإمام الغزالي على استخدام الترهيب والوعيد، لردع المخطئ وتعديل سلوكه فيقول في رسالته "أيها الولد": "فألق في قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف لعل صفات باطنهم تتغير، ومعاملة ظاهريهم تتبدل"⁽⁹³⁾. ويحذر الغزالي من تعويد الطفل على العقاب بشكل متكرر، حتى لا يؤدي هذا التكرار إلى أن يعتاد الطفل، العقاب ويصبح مألوفاً لديه فتسقط قيمته من حيث تأثيره فيه"⁽⁹⁴⁾.

ويرى الغزالي أنه إذا لم تثمر الأساليب الوقائية وأساليب العتاب والتهديد في ردع الطفل عن ارتكاب الخطأ فلا بأس من اللجوء إلى العقاب البدني خاصة وأن الطفل يعجز عن التبصر بالعواقب فلا يميز ما يضره مما ينفعه، أي لا يستطيع إدراك النتائج المترتبة على ارتكابه الخطأ فيقدم عليه دون خوف، ولذلك كان في العقاب البدني بعض العلاج له"⁽⁹⁵⁾، يقول الغزالي "والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وكذا الصبي، ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة"⁽⁹⁶⁾. فيحذر الغزالي من الضرب الشديد لما له من آثار سلبية وخطيرة على نفسية الطفل وتحدث أضراراً جسمية وقد تؤدي إلى بلادة العقل. وينهى الغزالي عن الضرب في حالة الغضب لتكون غايتها بعيدة عن التشفي والانتقام، فليس للعقاب إلا غاية واحدة وهي الحمل على العمل الصحيح والتهذيب، ويفهم من حديث الغزالي الدعوة إلى استخدام ما يسمى العقاب الإيجابي، وهو أن يعقب السلوك غير المرغوب فيه مثيرة منفرة أو مؤلمة للفرد، فيؤدي إلى تقليل احتمالات ظهور السلوك ووقفه مستقبلاً، ومن الأمثلة التي توضح هذا النوع من العقاب، العقاب البدني للفرد بعد قيامه بسلوك غير مرغوب فيه"⁽⁹⁷⁾.



والغرض من العقاب تغيير سلوك الفرد نحو الأفضل وإصلاح المذنب، لأن الفرد عندما يفكر أن يسلك سلوكاً مخالفاً ثم يتذكر العقوبة التي تنتظره فإنه يتراجع، والعقاب البدني هو آخر الوسائل المستخدمة، ويمكن تنفيذه حسب تقدير المعاقب للسلوك ونوع السلوك الذي وقع، وله ضوابط بأن يكون العقاب متناسباً مع الذنب، وأن لا يؤجل لأن التأجيل يفقده معناه وفائدته، ويجب التقليل منه ما أمكن وفي تنفيذه يجب أن يتجنب الوجه والمقاتل.

4. المدح والثناء والتعزيز.

يرى الغزالي أنه يجب تكريم الصبي ومدحه على ما يأتي من أفعال حسنة، وما يتحلى به ما خلق حميد، كما تجب مجازاته جزاء طيباً ما أمكن على كل هذا ومدحه أمام الناس تشجيعاً له. يقول الغزالي: "ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح به، ويُمدح بين أظهر الناس"⁽⁹⁸⁾. فالمدح يولد شعوراً بالكمال، فحينما تشعر النفس بكمالها ترتاح وتعزز، فإذا كان الإنسان شاكاً في كماله؛ كمال الحسن، كمال العلم، كمال الورع، فإنه يكون مشتاقاً إلى أن تطمئن نفسه من هذا الشك، وذلك مثل فرح التلميذ بثناء أستاذه عليه، فثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه، لاسيما إذا كان ممن يلتفت إلى قوله⁽⁹⁹⁾.

فيكون تعزيز الطفل بوسيلتين: إما منح الطفل شيئاً يرغب فيه وإما مدحه بكلام طيب أمام الآخرين، وهذه الوسائل تعمل على تثبيت السلوك عند الطفل، وهذا هو الذي يتحدث عنه علماء التربية باسم الثواب، وهو مبدأ مستمد من القرآن والسنة يهدف إلى تدعيم السلوك وتعديله باستخدام المحفزات الإيجابية

المادية أو المعنوية أو المادية والمعنوية⁽¹⁰⁰⁾، وقيمة الثواب التربوية تتمثل في كونه يحفز الفرد ويشجعه على معاودة الأفعال التي يثاب عليها، ويجعل السرور والابتهاج الذي يحصل في نفس المثاب دافعا إلى تكرار النتائج التي حققها في مختلف أوجه النشاط⁽¹⁰¹⁾.

المبحث الثالث: المنهج الوقائي من انحراف السلوك عند الإمام الغزالي ونماذج من التعديل

يشمل المبحث مطلبين، المطلب الأول: المنهج الوقائي من انحراف السلوك عند الإمام الغزالي. والمطلب الثاني: نماذج من تعديل السلوك الإنساني عند الإمام الغزالي.

المطلب الأول: المنهج الوقائي من انحراف السلوك عند الإمام الغزالي.

يقترح الإمام الغزالي جملة من المبادئ والقواعد التي يجب الالتزام بها لوقاية السلوك الإنساني من الانحراف، وفيما يلي عرض لأبرز هذه القواعد:

أولا: الاهتمام بالسلوك منذ البداية و الابتعاد عن أسباب السلوك المذموم ومثيراته يدعو الإمام الغزالي إلى الوقاية من أسباب انحراف السلوك قبل وقوعه، فيدعو إلى الابتعاد عن أسباب هذا الخلق ومثيراته ومهيئاته من بواعث وخواطر من خلال التعود على ممارسة الأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة منذ الصغر، فيقول الغزالي: "وصيانيته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعود التنعيم، ولا يحب إليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد"⁽¹⁰²⁾.



يقول الغزالي مؤكدا الاهتمام بالسلوك منذ البداية وعدم تركه "...وان وقع النشء بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس. فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين.." (103).

ويؤكد الإمام أن الطفل صفحة بيضاء قابلة لكل نقش فان عود الخير نشأ ونما عليه، وان عود الشر أو أهمله المربي صار شقيا، لذا ينبغي العناية به من بداية نشأته، يقول: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها... وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه... وان عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... وصيانتها بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء" (104).

ثانيا : إشغال أوقات الفراغ

يرى الغزالي أن من طبيعة الإنسان إذا لم يشغل وقته ونفسه في شيء مفيد ومناسب وبقي يعيش في حالة فراغ، فإن نفسه ستدفعه للانحراف وارتكاب المعاصي، فيحث الغزالي الفرد على إشغال نفسه بما هو مناسب ونافع مثل الاستغراق في العبادات وقراءة القرآن، أو تعلم العلم، أو ممارسة حرفة ليشغل أوقات فراغه في العمل بما يتعلم، أو في لعب مباح نافع بدلا من أن يبقى الفرد في فراغ (105).

يشترط الغزالي أن يكون إشغال الوقت في شيء مباح ونافع، لهذا ينصح بمنع الصبي من قراءة الأدب المثير محافظة عليه من الفساد، وهذا ما جاء في كتاب

"الجمهورية" لأفلاطون من ضرورة تطهير القصص والأشعار وحتى الأنغام الموسيقية التي يحفظها الصغار، وذلك تأكيداً على حماية أخلاقهم من الفساد، وكما قال "جون ديوي" الفيلسوف والمربي الأمريكي، بأن للمدرسة ثلاث وظائف أساسية هي تطهير المعلومات، وتنظيمها وتبسيطها حتى تناسب عقول الصغار، فلقد اتفق الغزالي مع أئمة الفلاسفة والمربين في أن يسان الصغير من المعلومات غير المطهرة من الرذائل وشوائب الحياة⁽¹⁰⁶⁾.

ثالثاً: القدوة الصالحة

بين القرآن الكريم موقع وأهمية القدوة في التربية وتعديل السلوك، يقول سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب 21، فالآية الكريمة تبين أهمية القدوة وما لها من تأثير واضح على أفراد المجتمع، لذا كانت القدوة الدائمة في شخص النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يعرض القرآن الكريم هذه القدوة للإعجاب والتأمل، إنما يعرضها على الناس ليكتسبوا منها السلوكات الحسنة، لذا نلاحظ تأكيد النبي ﷺ على أهمية المجلس وتأثيره في أخلاقيات وسلوكات صاحبه، يقول ﷺ «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُخَذِّبَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»⁽¹⁰⁷⁾، فدلالة الحديث أن القدوة السيئة أو المجلس السيء يؤدي إلى إحداث التقليد السلبي الذي يحدث المشاهدة والتفاعل والانصهار مما يضعف التمايز والاستقلال فيكتسب الشخص المقلد الأخلاق والسلوك وأساليب الحياة حتى يصل الأمر إلى العقائد والأفكار والثقافة.

يؤكد الإمام الغزالي على أهمية وجود القدوة الصالحة من أجل التأثير في الصبيان وتعديل سلوكهم، فيقول: "إذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذا فالطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً" (108).

ويؤكد الغزالي على أن القدوة من أكثر الأساليب تأثيراً في الفرد وقد كان يركز على أن الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، هم القدوة المثلى، بالإضافة إلى الصحبة الصالحة، فكان يحث تلاميذه على الجلوس مع المربين الصالحين، لتأثيرهم البالغ في سلوك تلاميذهم، ويحث على إبعاد التلميذ عن قرناء السوء فيقول: "وبمنع لغو الكلام... ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء" (109).

يرى الإمام الغزالي أن ضرب الأمثلة والالتفات لمصير الأقوام السابقين من أعظم الأساليب الناجحة والمؤثرة في سلوك الإنسان وهذا ما يسمى بعلم النفس الحديث تغيير السلوك عن طريق النماذج المقدمة للفرد المراد تعديل سلوكه (110).

ويرى الإمام الغزالي أن أسلوب الحوار والمناقشة يساعد على استقلالية الفرد وإبعاده عن التقليد وسلوك ما هو مرغوب فيه والابتعاد عما هو مرغوب عنه من الأخلاق والأعمال، وقد كان يثير من التساؤلات حول قضايا وأمور يلفت انتباه الطلاب إليها من أجل أن يتبنوها ويطبقوها في حياتهم.

ويرى الغزالي ضرورة تعديل النصيحة والعظة للفرد وبيان فوائد الأخلاق الحسنة ومضار الأخلاق السيئة من أجل تنمية القناعة في نفسه فيندفع إلى السلوك الجيد ويتعدى عن السلوك المذموم⁽¹¹¹⁾.

رابعاً : اللعب

يعد اللعب مدخلاً أساسياً لبناء شخصية الإنسان، عقلياً واجتماعياً وانفعالياً وجسمياً وسلوكياً وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يلعب بنفسه مع الصغار، ويتيح لهم اللعب مع بعضهم مع بعض. وأثبتت الدراسات الحديثة أن السماح للطلاب باللعب بين فترة وأخرى يحسن سلوكه ويبعده عن السلوك غير المرغوب فيه، ويمكن أن يكون اللعب مكافأة للطلاب إذا سلك سلوكاً مرغوباً فيه وحرمانه من اللعب إذا سلك سلوكاً غير مرغوب فيه.

ويدعو الإمام الغزالي إلى إتاحة الفرصة للصبي ليلعب دونما إفراط، حتى يستريح من عناء الدراسة، لما في ذلك من أثر على ذكائه، واستمراره في التعلم، فيقول الغزالي: "وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب" بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب، وإرهاقه إلى التعلم دائماً يمت قلبه، ويبطل ذكائه، وينقص حتى بطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً⁽¹¹²⁾.

لم يصف الغزالي اللعب بأنه مجرد نشاط تلقائي يقوم به الصغير فحسب، بل قال إن اللعب ثلاث وظائف رئيسة ومهمة، وضرورية لنمو الصغير الجسمي والعقلي على حد سواء، فهو يساعد أولاً على ترويض جسم الصغير وتقوية عضلاته، وذلك يؤدي بدوره إلى نموه الجسماني السليم، كما أن اللعب يساعد



على جلب السرور والبهجة إلى نفس الصغير، فهو عامل ترفيهي لا غنى، وأخيراً فإن اللعب يكون بمثابة صمام للأمن يقوم بعملية إراحة الصبي من عناء الدرس، مما يسهل عملية التعلم. ويبين الغزالي أيضاً أن الصغير المحروم من اللعب قد يرغب عن التعلم، ويهرب منه، ولا شك في أن المربين المعاصرين يرون نفس الرأي في فوائد اللعب، كما أن كثيراً من التجارب والبحوث التربوية التي دلت على أن هروب بعض التلاميذ من الدراسة إنما يرجع إلى عدم حصولهم على القسط المناسب والكافي من اللعب والترفيه عن النفس⁽¹¹³⁾.

ويتفق المفكر التربوي جون ديوي مع الغزالي حول اللعب فقد دلت الخبرة على أن الأطفال عندما تتاح لهم فرصة للنشاط البدني، تطلق العنان لدوافعهم الطبيعية ويجدون متعة في الذهاب إلى المدرسة، والتعلم أسهل، وصحبتهم أقل عناء⁽¹¹⁴⁾.

المطلب الثاني: نماذج تعديل السلوك عند الإمام الغزالي

أولاً: علاج سلوك البخل

يبين الإمام الغزالي أسباب البخل فيقول: "أعلم أن البخل سببه حب المال، ولحب المال سببان: أحدهما، حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل...، وإن كان قصير الأمل ولكن له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل، والسبب الثاني: أن يحب عين المال؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف، وهو شيخ بلا ولد، ومعه أموال كثيرة، ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداوة نفسه عند المرض، بل صار محباً للدينارير عاشقاً لها"⁽¹¹⁵⁾.

ثم يذكر الإمام الغزالي طرق التعديل بعد وصفه لأسباب انحراف السلوك فيقول: "وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت، والنظر في موت الأقران، وطول تعبهم في جمع الأموال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه" (116).

يتبع الإمام الغزالي في علاج السلوك السيء أسلوب تكلف السلوك الحسن المضاد والاستمرار على فعله حتى يصير عادة وطبعاً، وبهذا الأسلوب يزول السلوك السيء ويحل محله السلوك الحسن فحب الشهوات تعالج بالقناعة والصبر، وطول الأمل يعالج بذكر الموت.

ويصف الإمام الغزالي أساليب أخرى للتعديل فيقول: "ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء، ونفرة الطبع عنهم واستقبحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره" (117).

يرى الإمام الغزالي أن يتأمل البخل في أحوال البخلاء وصفاتهم ونظرة الناس لهم واستقبحهم لهم، ويذكر الإمام في كتابه الإحياء حكايات البخلاء وحكايات الأسخياء ويدعو الغزالي إلى التفكير في مقاصد المال، ولماذا وجد.

ثانياً: علاج سلوك الغضب

اتخذ الغزالي أساليب عديدة في تعديل سلوك الغضب، ومنها الابتعاد عن الأسباب المهيجة لسلوك الغضب فيقول الغزالي: "قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها، فلا بد من معرفة أسباب الغضب" (118)، فحدد الإمام الغزالي الأسباب المهيجة للغضب وهي: "الزهو والعجب، والمزاح والهزل، والهزء



والتعير، والمماراة والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها⁽¹¹⁹⁾.

ويرى الغزالي أن التخلص من هذه الأسباب بسلوك أضدادها، فالزهو بالتواضع والعجب بمعرفة المرء قدر نفسه، والمزاح بالتشاغل بالمهمات الدينية، وأما الهزل فيزال بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية، وأما الهزل بالتكرم عن إيذاء الناس، وأما التعير فالخذر من القول القبيح، وصيانة النفس عن مرّ الجواب، وأما شدة الحرص على فضول المال فيزال بالقناعة بقدر الضرورة⁽¹²⁰⁾.

أما تعديل سلوك الغضب بعد هيجانه فيرجع إلى العلم والعمل، والعلم ستة أمور⁽¹²¹⁾:

1. أن يتفكر في الأخبار الواردة في كظم الغيظ، والعفو، والحلم، والاحتمال.
2. أن يخوف نفسه بعقاب الله، فيذكر أن قدرة الله عليه أعظم من قدرته على من يريد أن يمضي فيه غضبه. أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو لمقابله، والسعي في هدم أغراضه والشماته بمصائبه.
3. أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب، ومشابهة الغضبان للكلب الضاري، ومشابهة الحليم للأنبياء.
4. أن يتفكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام، ويمنعه من كظم الغيظ.
5. أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده.

أما علاج الغضب بالعمل فهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإن لم ينفع ذلك فلا بد من تغيير الحالة التي يكون عليها المرء، أما الوقوف، أو الجلوس، فإن لم ينفع ذلك، فالتوضؤ، أو الاغتسال بالماء البارد⁽¹²²⁾.

ويذكر الإمام الغزالي فضيلة كظم الغيظ وفضيلة الحلم، وفضيلة العفو والإحسان ليكون حافزاً للإنسان، ويبين ذم الغضب في القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ليردعه عن الغضب.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

خلُصت هذه الدراسة إلى نتائج عدة، أهمها:

- إن مفهوم تعديل السلوك الإنساني عند الغزالي يتبين من خلال تعريفه للسلوك على أنه هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا صدرت عنها أفعال جميلة يكون السلوك حسناً، وإذا صدرت عنها أفعال قبيحة يكون السلوك سيئاً، ويؤكد على أن السلوك قابل للتعديل والتغيير، وأن الاكتساب و التربية هي التي تغير سلوك الإنسان، وتختلف سرعة التغيير من إنسان إلى آخر.
- تشتمل أهداف تعديل السلوك عند الغزالي على تحقيق العبودية، والسعي إلى الكمال الإنساني، وتكوين الشخصية المتوازنة، وتهذيب قوى النفس الإنسانية وتربيتها على الفضيلة، وتحقيق السعادة لها، وتحصيل العلوم.



- اتخذ الإمام الغزالي أساليب عديدة في تعديل السلوك منها أساليب تكون من قبل الفرد مثل العبادة والخلوة والتأمل، ومنها أساليب تكون من قبل المربي مثل التعزيز والمدح والثناء، والتغافل عن السلوك، وإيقاع العقوبة.
- اتخذ الإمام الغزالي تدابير وقائية لتجنب انحراف السلوك منها الحوار والمناقشة، والابتعاد عن أسباب السلوك المذموم ومثيراته، وإشغال أوقات الفراغ، واللعب والقراءة الصالحة.
- ذكر الإمام الغزالي نماذج في تعديل السلوك الإنساني، وبيّن أسباب انحراف السلوك وكيفية التخلص من هذه الأسباب، وفي هذه النماذج البخل والغضب.

ثانياً: التوصيات

- في ضوء نتائج الدراسة، فإن الباحث يوصي بأمور عديدة، أهمها:
- إجراء مزيد من الدراسات التي تسهم في التأصيل الإسلامي لعلم النفس.
 - إقامة الندوات والمؤتمرات التي تبين دور العلماء المسلمين في مجالات علم النفس والتعريف بمؤلفاتهم وآرائهم التربوية.
 - كشف التربويين والمشتغلين بعلم النفس لأصول ومبادئ تعديل السلوك وطرائقه في التراث الإسلامي.
 - الاهتمام بالمناهج الدراسية، وجعلها مستمدة من تراث المسلمين ونتائج مفكراتها من أعلام الفكر التربوي الإسلامي.

الهوامش

- 1- نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1993م، ص7.
- 2- أحد قرا ملكي، مناهج البحث في الدراسات الدينية، بيروت، معهد المعارف الحكمية، 2004م، مختلف صفحات الكتاب.
- 3- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، بيروت، دار الثقافة، ج4، ص216.
- 4- السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية، مطبعة عيسى البابي، ط1، ص102-104 زقزوق.
- 5- ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج4، ص217. السبكي، طبقات الشافعية، ص103-104.
- 6- ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، 218. السبكي، طبقات الشافعية، 104 زقزوق، محمود حمدي، أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، دن، د.ط، 1425هـ- 2004م، ص786-787.
- 7- ابن خلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج4، ص218. السبكي، طبقات الشافعية، 104 زقزوق، محمود حمدي، أعلام الفكر الإسلامي، القاهرة، دن، د.ط، 1425هـ- 2004م، ص786-787.
- 8- بدوي، عبدالرحمن، مؤلفات الغزالي. وكالة المطبوعات، الكويت، ط1977، 2، م، ص21. الشرباصي، أحمد، الغزالي، بيروت، دار الجيل، د.ط، 1975م، ص144.
- 9- مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي، بيروت، منشورات المكتبة العلمية، د. ط، 1980م، ص72.



- 10- زعوب، عادل. منهاج البحث عند الغزالي، بيروت مؤسسة الرسالة، 1980 م، ص22-27.
- 11- الرشدان، ياسين قاسم علي، التربية السلوكية عند الإمام الغزالي، ص13.
- 12- الغزالي، محمد بن محمد، المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، بيروت، دار الفكر، ط1، 1993م، ص50.
- 13- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، د.ت، ج9، ص21-22.
- 14- ابن منظور، جمال الدين محمد بن محمد مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت، ج11، ص443.
- 15- مجمع اللغة العربية، الوسيط، طهران، المكتبة العلمية، د. ط، د.ت، ص244.
- 16- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، ص418.
- 17- ابن منظور، جمال الدين محمد بن محمد مكرم، لسان العرب، ج10، ص242.
- 18- مجمع اللغة العربية، الوسيط، ج1، ص462.
- 19- القذاي: رمضان محمد، علم النفس الإسلامي، الطبعة الأولى، صحيفة الدعوة الإسلامية-ليبيا، 1990م، ص17.
- 20- الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص553.
- 21- أبو حماد، ناصر الدين، تعديل السلوك الإنساني وأساليب حل المشكلات السلوكية، عمان- الأردن، جدارا للكتاب العالمي، ط1، 1428هـ-2008م، ص24.
- 22- الروسان، فاروق، تعديل وبناء السلوك الإنساني، عمان- الأردن، دار الفكر، ط11، 1430هـ - 2010م، ص50.
- 23- واطسون، تعديل سلوك الأطفال، ترجمة محمد مرعي فراج وسلوى الملاح، مصر، دار المعارف، ط1، 1976م، ص1.

- 24- الخطيب، جمال، تعديل السلوك القوانين والإجراءات، عمان، دن، ط1، 1987م، ص14.
- 25- الشرفين، عماد عبد الله محمد، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد - الأردن، 1422هـ-2002م، ص54.
- 26- نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1993م، ص192.
- 27- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، القاهرة، دار الحديث، د. ط، 1419هـ - 1998م، ج3، ص80-81.
- 28- نجاتي، محمد عثمان، علم النفس والحياة، الكويت، دار القلم، ط13، 1993، ص367.
- 29- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص84.
- 30- المرجع السابق، ج3، ص84.
- 31- رشدان، عبد الله زاهي، الفكر التربوي الإسلامي، عمان- الأردن، دار الأمل، ط1، 2004م، ص451.
- 32- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص85.
- 33- الغزالي، المرجع السابق، ج3، ص87.
- 34- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، بيروت لبنان، مؤسسة التاريخ ط1، 200م، ج21، ص48.
- 35- الشرفين، عماد، نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني، اربد، عماد الدين للنشر والتوزيع، ط2010، 1م، ص389.
- 36- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص59. طبعة



- 37- البريزات، عبد الحفيظ أحمد علاوي، نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي، ص89؛ سليمان، فتحية حسن، المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط2، 1964م، ص16.
- 38- الغزالي، ميزان العمل، ص66
- 39- المرجع السابق، ص66
- 40- الغزالي، مكاشفة القلوب، ص175.
- 41- الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، بيروت دار الافاق الجديدة 1401هـ، ص57
- 42- البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي، ص90-91.
- 43- الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب، بيروت، دار المعرفة ص22.
- 44- العسكري، كفاح يحيى صالح، الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط2000، 1م، ص171.
- 45- الغزالي، كيمياء السعادة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418، ص130
- 46- الغزالي، ميزان العمل، ص97
- 47- المرجع السابق، ص74
- 48- المرجع السابق، ص78
- 49- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3 ص60، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- 50- الغزالي، ميزان العمل، ص90
- 51- العسكري، كفاح، الفكر التربوي والنفسي عند الغزالي، ص170.
- 52- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص19.
- 53- المرجع السابق، ج1، ص17.
- 54- زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة رسالة، بيروت، ط1993، 3، ص44.

- 55- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص110.
- 56- الغزالي، أيها الولد، بيروت، دار الكتب العلمية، ص53.
- 57- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص69. طبعة دار المعرفة بيروت.
- 58- نجاشي، محمد القران وعلم النفس، القاهرة، دار الشروق، ص268.
- 59- البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي، ص114.
- 60- الغزالي، كتاب الأربعين في أصول الدين، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ص137.
- 61- الزعبلاني، محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الرياض، مكتبة التوبة ص340.
- 62- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص87.
- 63- الغزالي، كتاب الأربعين في أصول الدين، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ص137.
- 64- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص88.
- 65- الغزالي، محمد بن محمد، ميزان العمل، مصر، مكتبة الجندي، د.ط، د.ت، ص66.
- 66- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الاثرية، باب آداب الطعام والشراب، ج6، ص109، حديث 5389.
- 67- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص95.
- 68- المرجع السابق، ج2، ص76.
- 69- المرجع السابق، ج3، ص79.
- 70- الغزالي، ميزان العمل، ص117.
- 71- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص96.
- 72- الغزالي، رسالة أيها الولد، ص17.
- 73- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص96.
- 74- المرجع السابق، ج3، ص97.
- 75- المرجع السابق، ج3، ص97.



- 76- المرجع السابق ، ج2، ص236.
- 77- المرجع السابق ، ج2، ص113-114.
- 78- محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 212.
- 79- الغزالي، رسالة أيها الولد، ص17
- 80- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص108.
- 81- المرجع السابق ، ج3، ص109.
- 82- عبد الله، عبد الرحيم صالح، فكر الغزالي التربوي، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ-2006م، ص185.
- 83- الأبرشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مصر، مطبعة عيسى البابي، ط1، 1986، ص261.
- 84- البر جس، عارف، التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، بيروت، دار الأندلس، ص95.
- 85- الأبرشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مصر، مطبعة عيسى البابي، ط1، 1986، ص250.
- 86- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص86.
- 87- المرجع السابق ، ج3، ص93.
- 88- المرجع السابق ، ج1، ص93.
- 89- نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، بيروت، دار الشروق، د.ط، 1992، ص175.
- 90- البيلي، محمد. علم النفس التربوي، الكويت، مكتبة الفلاح، ط2، ص204.
- 91- صالح، عبد الرحمن، مدخل إلى التربية الإسلامية، عمان، دار الفرقان، 1991، ص19.
- 92- النحلاوي، عبد الرحمن. أصول التربية الإسلامية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1999م، ص258.



- 93- الغزالي، محمد بن محمد، أيها الولد، القاهرة، دار النصر، د.ط، د. ت، ص143.
- 94- البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، د.م، دار الاندلس، ط1، 1401هـ- 1981م، ص94.
- 95- عبد الله، عبد الرحيم صالح، فكر الغزالي التربوي، ص186.
- 96- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص172.
- 97- الشناوي، محمد. نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ص67
- 98- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص108.
- 99- البرجس، عارف. التوجيه الإسلامي للنشئ في فلسفة الغزالي، بيروت، دار الأندلس، ص95+96.
- 100- خصاونه، خلود. الثواب في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1993، ص8
- 101- الزنتاني، عبد الحميد. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1993م 176.
- 102- المرجع السابق ، ج3، ص107-108.
- 103- المرجع السابق ، ج3، ص109.
- 104- المرجع السابق ، ج3، ص69.
- 105- عبد الله، عبد الرحيم صالح، فكر الغزالي التربوي، ص162.
- 106- سليمان، فتحية حسن، المذهب التربوي عند الغزالي، ص59.
- 107- رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، ج8، ص37، حديث 6860.
- 108- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص90.
- 109- المرجع السابق ، ج3، ص109.
- 110- البريزات، عبد الحفيظ، نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي، ص120.



- 111- المرجع السابق ، ص 119.
- 112- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 109-110.
- 113- سليمان، فتحة حسن، المذهب التربوي عند الغزالي، ص 65.
- 114- ديوي، جون. الديمقراطية والتربية، ص 176، ترجمة نظمي لوقا.
- 115- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 3، ص 375.
- 116- المرجع السابق ، ج 3، ص 376.
- 117- المرجع السابق ، ج 3، ص 376.
- 118- المرجع السابق ، ج 3، ص 249.
- 119- المرجع السابق ، ج 3، ص 249.
- 120- المرجع السابق ، ج 3، ص 249-250.
- 121- المرجع السابق ، ج 3، ص 251-252.
- 122- المرجع السابق ، ج 3، ص 253.